الفصل السابع

مشكلات الطفل الموهوب في نطاق المدرسة

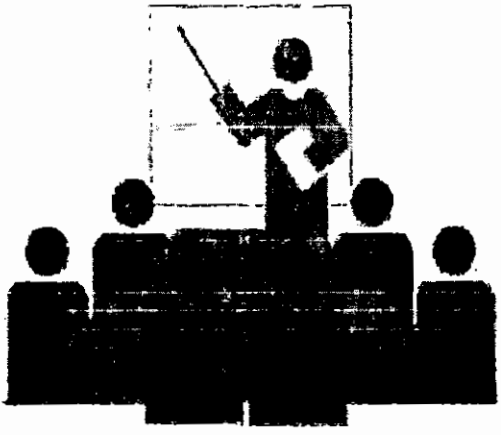

❖ العمل المدرسي لا يُحقق للطفل الموهوب المتعة والإثارة:

من المشكلات التوافقية التي يواجهها الطفل الموهوب أنَّه قد لا يري في العمل المدرسي ما يُثير اهتمامه وفضوله،خاصَّة أن المُعلِّم يهتم بالفصل الدراسي ككل، أي بغالبية التلاميذ ويحاول أن يُساير المستوي العقلي لهذه الغالبية ممَّا يجعل الطفل الموهوب يري أن الدروس مملة ولا تستحق الاهتمام،بل تفعيل الأمر إلي درجة أن الطفل الموهوب يهمل دروسه ويفشل في الامتحانات المدرسية.وقد بيَّنت اختبارات الذكاء أن بعض الأطفال الموهوبين لم يكونوا متفوقين في نتائجه الدراسية ممَّا جعل المتخصصين في هذا المجال يُميزون بين نسبة الذكاء ونسبة التحصيل.

❖ أسرة الطفل الموهوب.. وإلقاء اللَّوم الدائم علي المدرسة:

تُشير بعض الدراسات إلي أن أُسرة الطفل الموهوب أقل رضاءً وأكثر تذمُّراً من أسرة الطفل العادي،وخصوصاً إذا كان الطفل شديد الموهبة.وإنَّه بعد أن يتم اكتشاف الطفل الموهوب تبدأ الأسرة بشن حملة شعواء علي لمدرسة والمُعلِّمين.

وتصب الأسرة اللَّوم علي المدرسة في العديد من الأمور،فإذا قصَّر الطفل في إحدى المواد اتهمت المُعلِّمين بعدم تشجيع الطفل،وإذا أساء الطفل السلوك اتهمت المنهج بأنَّه لا يتحدي عقل الطفل،وإذا كره الطفل الواجبات المدرسية اتهمت المدرسة بالضغط علي الطفل، ويقع الطفل ضحية بين هذين الطرفين المتنازعين،ممَّا يستوجب إرشاد الأسرة بأسلوب صحيح،ومد جسور التعاون والتواصل السليم بين الأسرة والمدرسة،وتحقيق الشراكة الكاملة بين البيت والمدرسة والطفل.

وبسبب إحساس أُسرة الطفل الموهوب بأن المدرسة عاجزة عن تلبية احتياجات طفلها برزت في الولايات المتحدة الأمريكية ظاهرة ما يُسميّ بالمدرسة البيتية Home Schooling حيث تولت الأسرة مسؤولية تعليم الطفل الموهوب في المنزل بدلاً من المدرسة.

❖ الطفل الموهوب ومشكلة التكيُّف مع زملاء الفصل:

في المدرسة قد يوضع الطفل الموهوب في فصل دراسي أعلي نظراً لتفوقه،حيث يكون التلاميذ في الغالب أكبر منه سناً.وهذا الوضع يُثير لدي الطفل الموهوب مشكلة التكيُّف مع هؤلاء التلاميذ الأكبر منه سناً،والذين قد لا يألفونه لأنَّه يكشف تهاونهم وعدم جديتهم خاصَّة إذا كان المُعلِّم يُقارنهم بالطفل الموهوب الذي يُعتبر نموذجاً له.

❖ توحيد البرامج والأساليب التربوية لا يخدم الطفل الموهوب:

تهتم المدرسة عادةً بتوحيد برامجها وأساليبها التربوية باعتبارها مدرسة الجميع، لذا فإنَّها لا تُشكِّل مجالاً للاهتمام بالموهوبين من تلاميذها، وبالتالي قلَّما تُعوض تقاعس الأسرة في هذا المجال.

❖المناهج الدراسية التقليدية تُعطل طاقات الطفل الموهوب، وتقوده إلي السأم والملل:

نظراً لأن المناهج توضع في مستوي الطالب المتوسط فهي تؤدي غالباً إلي شعور الطفل الموهوب بالملل والإحباط، كما أن أساليب التعليم الحالية لا تُشجع علي التفكير الإبداعي؛لأنَّها لا تُعطي الأطفال الفرصة للتعبير عن أفكارهم الأصيلة،إذ يفشل الكثيرون من الموهوبين في تطوير جانب كبير من استعداداتهم بسبب المعوقات والضغوط التي تنجم عن عدم انسجامهم مع المناهج ،والأساليب التعليمية،ووسائل تنفيذها،وأساليب تقويمها،فهي لا تتناسب وقدراتهم الفذة،كما لا تُتيح لهم فرص الدراسة المستقلة،ولا تستثير حُبَّهم للاستطلاع،وشغفهم بالبحث وإجراء التجارب العملية..ونظراً لمَّا يتميَّز به الموهوب من مقدرةٍ علي التعلُّم وفق معدلات أسرع من أقرانه العاديين فإن جزءاً كبيراً من وقته - يتراوح بين25٪ إلي30 ٪ علي حد تقدير بعض الباحثين - يضيع هباءً دون استثماره بدرجةٍ كافيةٍ،ممَّا يبعث في نفسه الملل والسأم من جو المدرسة.

❖ القصور الشديد في الكشف المبكر عن الطفل الموهوب وفق الأساليب العلمية الحديثة:

تستلزم عملية تربية الموهوبين وتشجيعهم بشكلٍ هادف ومنظم أن تسبقها خطوة التعرُّف المبكر إلي قدرات الموهوب وتحديد مستوياته ومجالاته.ويؤكِّد بعض الباحثين علي أهمية التبكير في اكتشاف الموهوبين وعدم الانتظار لأعمار متأخرة خشية اكتسابهم أساليب وعادات مُعوقة لتكيُّفهم مع النظم التعليمية،بالإضافة إلي ما يترتب عليه تأخير اكتشافهم من تعريض طاقاتهم للهدر والفَقْد.فقد تظل بعض القدرات والاستعدادات والمواهب كامنة لا تظهر، وذلك بسبب الإهمال والحرمان من جانب البيت والمدرسة'فما يزال هناك قصور في النظم التعليمية من حيث توافر الوسائل العلمية السليمة القادرة علي تشخيص قدرات الأطفال والكشف عن استعداداتهم التعليمية،فمن المُلاحظ في مدارسنا استخدام وسيلتين للتعرُّف علي الموهوبين:الوسيلة الأولي،هي اختبارات التحصيل،ومن عيوبها أنَّها لا تتصف بالصدق، وأنَّها مُحدَّدة بالغرض الضيق الذي أُعدَّت من أجله، وكذلك بعدد الأفراد الذين أُعدَّت لهم،وقد تخضع للأحكام الذاتية للمُعلِّم.أمَّا الوسيلة الثانية،فهي تقديرات المُعلِّمين والتي قد لا تتسم بالدقة والموضوعية في جميع الأحوال،كمَّا تتأثَّر بالسمات الشخصية المُضلِّلة لدي الطلاب، ومن ثمَّ فإن المُعلِّمين كثيراً ما يعجزون في التعرُّف علي الطلاب الموهوبين سيما أولئك الذين لا يتفوقون في خصائصهم السلوكية.

والنظم المدرسية السائدة بمناهجها،وطرق تدريسها،والعوامل السلبية التي تُسيطر عليها تحول دون الكشف عن مواهب وقدرات الطلاب.فغالباً ما يهتم المُعلِّم بالقدرة النظرية المُجرَّدة وما يرتبط بها من جوانب الاهتمام بالحفظ والاسترجاع دون فهم أو تمييز،والاهتمام بالنظام والطاعة دون إبداء وجهات النظر،وهذه النظم غالباً ما تؤدي إلي القضاء علي أية موهبة!!

❖ ضيق المُعلِّمين من أسئلة واستفسارات الطفل الموهوب!!

الطفل الموهوب يُدرك ويستوعب كل ما يُقال له أسرع وأعمق من أقرانه في الفصل، ونحن نُلاحظ أنَّه كلَّما استرسل المُعلِّم في الشرح بالإعادة والتكرار، شعر بالملل والضيق والتبرُّم؛ لأنَّه يستوعب بسرعةٍ ملحوظةٍ.

ومن المعروف عن هؤلاء الموهوبين أنَّهم كثيرو الأسئلة،ولديهم ملاحظات قد تتسبب في إحراج بعض المُعلِّمين ومن قبلهم الآباء،والغريب في الأمر أن هؤلاء الأطفال الموهوبين قد يواجهون بالعقاب البدني أو انسخرية منهم والازدراء واللامبالاة،بحجة أن هذه الأسئلة،وتلك الاستفسارات إنما تُعيق العمل الروتيني داخل الفصل،حينما يتطرق مثل هؤلاء التلاميذ إلي موضوعات خارج نطاق المقرر المعمول به،ممَّا يتسبب في تعطيل مسار الدرس، ويُعيق السواد الأعظم من التلاميذ عن الفهم والاستيعاب،سيما والمقررات المدرسية طويلة وشاقة، وفي المُقابل فإن العام الدراسي صغير وقصير، ويكاد يكفي بالكاد لتغطية جميع موضوعات المقرر،زد علي ذلك لو أن موقف الأبوين في المنزل هو موقف المُعلِّمين أنفسهم في المدرسة، كل هذا بلاشك يدفع الأطفال الموهوبين دفعاً إلي الشعور بالضيق والتبرُّم والقلق والإحباط، فيلجأون إلي العصبية أو العدوانية،وقد يتعرَّضون في تطورات أخري إلي الإصابة بأمراض الكلام كالتهتهة أو اللجلجة..او قد تؤدي بهم إلي انحرافات سلوكية كالسرقة أوالكذب.

❖ بعض المُعلِّمين لا يتعاطفون مع الطفل الموهوب لأسبابٍ مُتعدِّدةٍ !!

تطوير مناهج دراسية بدرجةٍ تُحقِّق المتطلبات الأساسية لتنمية استعدادات الموهوبين يُعدُّ شرطاً ضرورياً لرعايتهم،لكنه لا يُعد كافياً ما لم يكن هناك مُعلِّم كفء للعمل معهم؛فالمُعلِّم هو عماد العملية التعليمية وأساسها،وهو الذي يُهيئ المناخ الذي من شأنه إمَّا أن يقوي من ثقة الطفل بنفسه أو يُزعزعها،ويُشجع اهتمامته أو يُحبطها،ويُنمي قدراته أو يُهملها.ويغلب أن تكون نشاطات الحصة الدراسية العادية أقل بكثيرٍ من مستوي القدرات الحقيقية التي يتمتع بها الطلاب الموهوبين؛لأن هذه الأنشطة تُركِّز علي الطالب المتوسط.ويؤكِّد بعض الباحثين أن المُعلِّمين في معظم الأحيان يكونون أكثر تعاطفاً مع الطلاب العاديين،وأكثر تقبُّلاً واستحساناً لهم من الطلاب الموهوبين وذوي التفكير الاستقلالي نظراً لمَّا يسببونه من مشكلاتٍ ومواقف حرجة ومُربكة تستثير غضب المُعلِّم بل عداوته،فهم متعطشون للمعرفة،ميالون للنقد وإثارة الأسئلة الغير متوقعة،كما أنَّهم أقل انصياعاً لنظم الضبط داخل الفصول الدراسية، يتسمون بغزارة إنتاجيتهم للأفكار والحلول غير المألوفة لمَّا يُطرح عليهم من قضايا ومسائل ممَّا يُشكِّل صعوبات جمَّة أمام مُعلِّميهم في تقديم هذه الأفكار بل وفي فهمها أحياناً.

هذا،وتقود سهولة الأنشطة الصفية والاستمرار بتقديم أنشطة تدريسية غير مناسبة للموهوبين،إلي سلبيات كثيرة عند الطلاب الموهوبين أهمها قلة الاهتمام والرَّغبة في التعليم، وضعف التركيز، وفتور الاندفاع للإنجاز والتحصيل ،والهروب من المدرسة، وبروز مشكلات سلوكية وانفعالية.

❖عدم فهم المُعلِّمين لارتفاع مستوي ذكاء الطفل الموهوب يُسبِّب الكثير من المشكلات !!

قد يجلب المستوي العالي من الذكاء بعض الضرر علي صاحبه إذا لم يفهمه المُحيطون به فهماً جيداً،وإذا لم يُقدروه أو يتقبلوه.وقد يُعتبر الطفل الموهوب - في بعض الأحيان - مُشاغباً أو خارجاً علي النظم المعمول بها بسبب عصيانه الناتج عن أن المُعلِّم لا يفهم حاجاته، بل ويُطالبه بالقيام بنشاطٍ أقل من مستواه العقلي.

وقد يتسبَّب عدم فهم المُعلِّم لحالة الطفل الموهوب في تأخره في تعلُّم القراءة والكتابة،عندها تظهر مشكلة التأخُّر الدراسي نتيجة لارتفاع مستوي الذكاء عن باقي تلاميذ الفصل الدراسي،ولا تكون المشكلة ناتجة عن نقص في الذكاء كما يتبادر إلي ذهن المُعلِّمين،وممَّا يُزيد من تعقُّد المشكلة أنَّه إذا ما تسني للمُعلِّمين بالمدرسة فهم قدراته،ثم حاولوا بدورهم إقناع الأبوين بهذه الحقيقة،فإن الوالدين لا يُصدقان المدرسة،بل يُصران علي اتهام ابنهما بالغباء والإهمال وعدم اللامبالاة.ذلك أن الغالبية العُظمي من الناس يقيسون القدرات العقلية بمقدار ما يُحرزه الطفل من نجاح في حياته المدرسية دون أن يخطر ببالهم أن الظروف البيئية وعدم ملاءمتها لقدرات الطفل العقلية قد تكون هي المُتسبِّبة في نشوء هذه المشكلة.

❖ التلميذ الموهوب قد يجد بعض الصعوبات في التعامُل مع المُعلِّمين!!

كثيراً ما يُصادف الأطفال الموهوبون بعض الصعوبات في التعامُل مع المُعلِّمين بسبب ما لديهم من طاقةٍ غزيرةٍ،أو ما يتمتعون به من تلقائيةٍ،وبسبب أيضاً ما يعتمل في دواخلهم من حس بالصدق،وما يتميزون به من صراحةٍ،وقد يعتبر المُعلِّمون هؤلاء الأطفال - في أغلب الأحيان - خارجين عن النظام،وأنانيين عندما يُلاحظون أنَّهم يتصرَّفون بمقتضي نظام مُعيَّن يُخضعون له سلوكهم،ذلك أن تصرُّفات هؤلاء الأطفال تُعتبَّر عن عقولهم المُتحفزة دوماً.

❖ الأعمال الروتينية التي لا تتحدي قدرات الطفل الموهوب المرتفعة تجعله ينبذ المدرسة !!

الطفل الموهوب إذا لم يجد عملاً يستثيره ويتحدي قدراته العقلية العالية،فإنَّه يجد صعوبة في التوافق مع حياته المدرسية،بل يجد أن اليوم الدراسي قد صار حملاً ثقيلاً.أمَّا إذا كان العمل المنوط به سهلاً وتافهاً فإنَّه يعجز عن القيام به،ولكن مع هذا فإن البعض منهم قد يُظهرون الرضوخ ويقومون بالعمل،ثم لا يلبثون أن يوأدونه باستخفافٍ وتسرُّع فينشأ عن ذلك تخلُّفهم فيه وظهورهم وكأنَّهم مُتخلِّفين دراسياً!!

وقد يعمد بعض التلاميذ مرتفعو الذكاء إلي عدم الإجابة عن الأسئلة التافهة بقولهم أنَّهم لا يعرفون الإجابة وذلك استصغاراً منهم للموقف،وهم يُفضلون هذا علي ترديد إجابات أسهل من مستوي قدراتهم العقلية العالية،وبهذا إنما ينبذون كل ما لا يتحدي قدراتهم ومواهبهم.

وهم يبغون من المدرسة أن تستثير ما لديهم من مواهب،فإذا فشلت المدرسة في ذلك فإن المشكلة تبدأ في الظهور وينقلب التلميذ الموهوب إلي كارثة علي نفسه ،وعلي مدرسته، وعلي مجتمعه،إذ يبدأ في توجيه نشاطه إلي مجالاتٍ أخري غير مُستحبة كالتخريب والعدوانية.

❖ الإيمان بالمُثل العُليَّا والدفاع عنها قد تجعل الطفل الموهوب في حالة اتهام دائم من الغير!!

معظم الأطفال الموهوبين يرغبون في الاضطلاع بما هو جاد وفاعل ويعزفون عمَّا هو تافه وسطحي.كمَّا أنَّهم يبلورون في أذهانهم مفاهيم مُعقَّدة حول القيم والمُثل العُليَّا كالعدالة،والمساواة،والأخلاق..إلخ،ويضعون أنفسهم في مكانةٍ عاليةٍ من السلوك والتصرُّف.وفي بعض الحالات يكونوا مُخلصين لمُثلهم العُليَّا التي تتبلور في دخيلتهم وتتناغم مع تفكيرهم،لدرجة أنَّهم يُدافعون عنها بكل ما أوتوا من قوةٍ،فيعرضون أنفسهم - في سبيل ذلك - إلي تهمة العناد وعدم الطاعة،والخروج عن المألوف.

❖ التلميذ الموهوب قد لا يرغب في إظهار قدراته العالية!!

قد يُخبئ بعض التلاميذ الموهوبين قدراتهم العالية عن مُعلِّمهم حتى لا يُحملهم بأعباء إضافية جديدة أكثر ممَّا يحمل زملائهم،وقد ينجم عن هذا التفكير أن يعمد بعض الأطفال إلي تقديم إجابات خاطئة في اختبارات التحصيل،أو اختبارات الذكاء،ويُقْدِم بعض الأطفال الموهوبين علي ذلك حتى يتسنى لهم البقاء بنفس الفصل،وحتى لا يتهمهم زملاؤهم بالاستظهار الآلي،وحتى يتجنبون نبذ الزملاء لهم.

❖التلميذ الموهوب قي يواجه مشكلات في تعلُّم القراءة والكتابة!!

لا تستثير المواد الدراسية التي تتطلَّب الاستظهار الآلي رغبات كثير من الأطفال الموهوبين، وهذا يظهر في عدم إجادتهم للهجاء والقراءة، وفشلهم النسبي في تحصيل المهارات الحسابية الأساسية، وقد تصل الدرجة في بعض الحالات إلي أن يُعلن الطفل رفضه تعلُّم هذه المواد!!

وقد يجد بعض الأطفال الموهوبين مشقة في الكتابة،فالأفكار ترد إلي أذهانهم بسرعةٍ بحيث لا يسمح لهم البطء في التعبير عن تلك الأفكار بالسرعة في الكتابة.وينجم عن السرعة في الكتابة أيضاً الوقوع في بعض الأخطاء المُتعلِّقة بالهجاء أو بنظام الكتابة.

❖ الطفل الموهوب يُعاني دائماً من الخوف من الفشل!!

قد يتجه الأطفال الموهوبين إلي نقد أنفسهم فيما يقومون به من أعمال،وبالتالي يُصيبهم الخوف من محاولة القيام بأنشطةٍ جديدةٍ.ويصدق هذا علي ممارسة الفن بصفةٍ خاصَّةٍ،فقد يُحاول الطفل الموهوب تقليد إحدى الخرائط الجغرافية،ولكنه إذا فشل في رسم تلك الخريطة

صورة طبق الأصل،فإنَّه يعمد إلي تمزيق ما قام به،ثم يكف عن ممارسة أي نشاط يتعلَّق برسم الخرائط خوفاً من أن يُصاب بهذا الفشل مرَّة أُخري.

واحتمال الفشل قد يؤدي إلي في أغلب الأحيان إلي أن يتجنَّب الأطفال الموهوبين اكتساب الخبرات الجديدة،فإذا لم يتسن لهؤلاء الأطفال إحراز الإحساس بالطمأنينة فإنَّهم قد يُشاركون في الأنشطة بهمةٍ فاترةٍ،مُتذرعين بالاستهتار لتبرير النقص في مهاراتهم،كمّا يلجئون إلي المماطلة.وقد يتذبذب الطفل الموهوب - في بعض الأحيان - بين عدة أعمال دون اهتمام واضح بأيٍ منها،ودون أن يضع خطة واضحة لعمله،ودون أن يرسم هدفاً مُحدَّداً لذلك العمل حتى يُتسني له الهروب من النجاح السطحي.

والذي لا شك فيه فإن الطفل الغير موهوب أو العادي لا يُحس بالنتائج التي يمكن أن تأتي في المستقبل بالدرجة التي يُحس بها الطفل الموهوب.

❖ الطفل الموهوب والاحتياج إلي الحكمة في توجيهه:

الأطفال الموهوبين شأن أي نوع آخر من الأطفال إذ يكونون بحاجةٍ إلي توجيهٍ وإرشادٍ؛ لكي يتعلَّموا كيفية التعامُل بنجاحٍ مع الآخرين،علينا كآباء ومُعلِّمين أن نُعلِّمهم التذرُّع بالحكمة البالغة،والكف عن التعبيرٍ عن أنفسهم بفظاظةٍ.غير أن المُبالغة في مُطالبة هؤلاء الأطفال بكبح جماح أنفسهم كثيراً ما يعمل علي إعاقة نموّهم،وبالتالي يُضطرون إلي توجيه طاقاتهم إلي منافذ غير مرغوب فيها.

نحن في أشد الحاجة لسبر أغوار هؤلاء الأطفال الموهوبين،حتى يتسني للمدرسة أن تقوم بتربيتهم بطريقةٍ ناجحةٍ وسويةٍ ومبتكرةٍ.